العنوان:	متشابه القرآن وأثره فى الفكر الإسلامى : الجزء الرابع : تفصيل القول فى حقيقة المتشابه
المصدر:	مجلة المنبر
الناشر:	هيئة علماء السودان
المؤلف الرئيسي:	عبدالرحمن، فاطمة عبدالرحمن محمد علي
المجلد/العدد:	ع12
محكمة:	نعم
التاريخ الميلادي:	2010
الشهر:	مارس
الصفحات:	80 - 99
رقم MD:	608871
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
اللغة:	Arabic
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	متشابه القرآن، الحروف المقطعة فى أوائل السور ، المجمل
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/608871

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

للإستشهاد بهذا البحث قم بنسخ البيانات التالية حسب إسلوب الإستشهاد المطلوب:

إسلوب APA

عبدالرحمن، فاطمة عبدالرحمن محمد علي. (2010). متشابه القرآن وأثره فى الفكر الإسلامى: الجزء الرابع : تفصيل القول فى حقيقة المتشابه.مجلة المنبر، ع12، 80 - 99. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/608871

إسلوب MLA

عبدالرحمن، فاطمة عبدالرحمن محمد علي. "متشابه القرآن وأثره فى الفكر الإسلامى: الجزء الرابع : تفصيل القول فى حقيقة المتشابه."مجلة المنبرع12 (2010): 80 - 99. مسترجع من http://search.mandumah.com/Record/608871

© 2022 المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو المنظومة.

متشابه القرآن وأثره في الفكر الإسلامي

الجزء الرابع

تفصيل القول في حقيقة المتشابه

د/ فاطمة عبد الرحمن محمد علي عبد الرحمن

مقدمة :

في الأجـزاء السابقة من البحث ناقشنا مجموعة من الأقوال حول حقيقة المتشابه ، ومواصلة لهذا البحث عن حقيقة المتشابه نتناول في هذا الجزء:

أولاً : الحروف المقطعة في أوائل السور

ثـانـيـاً: مـا احـتـمـل الـوجـوه فلم يعرف بنفسه

ثالثًا : المجـمل

رابعاً :الذي يغمض علمه على غير العلماء والمحققين كالآيات التي ظاهرها التعارض

خامساً : ما يتعارض فيه الاحتمال (ويجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركـة كالقرء وكاللمس المتردد بين المس والوطء)

المبحث الأول :

الحروف المقطعة في أوائل السور

المطلب الأول

التعريف بالحروف المقطعة :

الحروف المقطعة في أوائل السور وسائر الألفاظ التي يتهجى بها أسماء مسمياتها الحروف التي ركبت منها الكلم لدخولها في حد الاسم واعتوار ما يخص به من التعريف والتنكير والجمع والتصغير ونحو ذلك[1] ومجموع الحـروف المذكورة في أوائل السور بحذف المكرر منها أربعة عشر حرفا يجمعها قولك : نص حكيم قاطع له سر[2] وهي أسماء موقوفة و لهذا لم تعرب فإن الأعراب إنما يكون بعد العقد و التركيب و إنما نطق بها موقوفة كما يقال أ ب ت ث و لهذا تكتب بصورة الحرف لا بصورة الاسم الذي ينطق به فإنها في النطق أسماء و لهذا لما سأل الخليل أصحابه عن النطق بالزاى من زيد قالوا زا قال نطقتم بالاسم و إنما النطق بالحرف زه فهي فى اللفظ أسماء و فى الخط حروف مقطعة ألم لا تكتب ألف لام ميم كما يكتب قول النبى صلى الله عليه و سلم فعن عبد الله بن مسعود يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (من قرأ حرفا من كتاب الله فله به حسنة والحسنة بعشر أمثالها لا أقول ألم حرف ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف)[3] و على هذا القول فالحروف المقطعة ليست كلاما تاما

من الجمل الاسمية و الفعلية ولهذا فهي من المتشابه و الجهل بالمراد بها معلوم ويروى هذا عن ابن عباس وبه صرح الخليل و أبو علي [٤]

المطلب الثاني :

منهج العلماء في تأويل الحروف المقطعة :

يقول شيخ الاسلام ان هذه الحروف قد تكلم فى معناها أكثر الناس فإن كان معناها معروفا فقد عرف معنى المتشابه وإن لم يكن معروفا و هي المتشابه كان ما سواها معلوم المعنى و هذا هو المطلوب

وأيضا فإن الله تعالى قال (مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ)[٥] و هذه الحروف ليست آيات عند جمهور العلماء و إنما يعدها آيات الكوفيون

و سبب نزول هذه الآية الصحيح يدل على أن غيرها أيضا متشابه و لكن هذا القول يوافق ما نقل عن اليهود من طلب علم المدد من حروف الهجاء[٦]

ولعل منهج العلماء في فهم هذه الحروف لم يكن موحدا فبينما أولها بعضهم تبنى البعض الآخر منهج التفويض

أولاً : التفويض

اختلف أهل التأويل في الحروف التي في أوائل السور فقال الشعبي وسفيان الثوري وجماعة من المحدثين : هي سر الله في القرآن ولله في كل كتاب من كتبه سر فهي من المتشابه الذي انفرد الله بعلمه ولا نحب أن نتكلم فيها ولكن نؤمن بها كما جاءت وروي هذا القول عن أبي بكر الصديق وعلي بن أبي طالب قال : وذكر أبو الليث السمرقندي عن عمر وعثمان وابن مسعود أنهم قالوا : الحروف المقطعة من المكتوم الذي لا يفسر وقال أبو حاتم : لم نجد الحروف في القرآن إلا في أوائل السور ولا ندري ما أراد الله عز وجل[٧]

ثانياً التأويل :

اما من تولى من العلماء منهج التأويل فقد ذهب إلى أن المراد منها معلوم وذكر فيه ما يزيد على عشرين وجها منها البعيد ومنها القريب

أحدها ويروى عن ابن عباس رضى الله عنهما أن كل حرف منها مأخوذ من اسم من أسمائه سبحانه فالألف من الله واللام من لطيف والميم من مجيد أو الألف من الائه واللام من لطفه والميم من مجده قال ابن فارس وهذا وجه جيد وله فى كلام العرب شاهد ...

قلنا لها قفى فقالت ق ...[٨] فعبر عن قولها وقفت بق

الثانى أن الله أقسم بهذه الحروف بأن هذا الكتاب الذى يقرؤه محمد هو الكتاب المنزل لا شك فيه وذلك يدل على جلالة قدر هذه الحروف إذ كانت مادة البيان وما فى

كتب الله المنزلة باللغات المختلفة وهى أصول كلام الأمم بها يتعارفون وقد أقسم الله تعالى ب الفجر والطور فكذلك شأن هذه الحروف فى القسم بها[9]

الثالث أنها الدائرة من الحروف التسعة والعشرين فليس منها حرف إلا وهو مفتاح اسم من أسمائه عز وجل أو آلائه أو بلائه أو مدة أقوام أو آجالهم فالألف سنة واللام ثلاثون سنة والميم أربعون وهو قول حسن لطيف لأن الله تعالى أنزل على نبيه الفرقان فلم يدع نظما عجيبا ولا علما نافعا إلا أودعه إياه علم ذلك من علمه وجهله من جهله

الرابع ويروى عن ابن عباس أيضا فى قوله تعالى آلم أنا الله أعلم وفى آلمص أنا الله أفضل و آلر أنا الله أرى ونحوه من دلالة الحرف الواحد على الاسم العام والصفة التامة

الخامس أنها أسماء للسور ف آلم اسم لهذه و حم اسم لتلك وذلك أن الأسماء وضعت للتمييز فهكذا هذه الحروف وضعت لتمييز هذه السور من غيرها ونقله الزمخشرى عن الأكثرين وأن سيبويه نص عليه فى كتابه وقال الإمام فخر الدين هو قول أكثر المتكلمين فإن قيل فقد وجدنا آلم افتتح بها عدة سور فأين التمييز قلنا قد يقع الوفاق بين اسمين لشخصين ثم يميز بعد ذلك بصفة وقعت كما يقال زيد وزيد ثم يميزان بأن يقال زيد الفقيه وزيد النحوى فكذلك إذا قرأ القارىء آلم ذلك الكتاب فقد ميزها عن آلم الله لا إله إلا هو الحى القيوم

السادس أن لكل كتاب سرا وسر القرآن فواتح السور قال ابن فارس وأظن قائل ذلك أراد أنه من السر الذى لا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم واختاره جماعة منهم أبو حاتم بن حبان قلت وقد استخرج بعض أئمة المغرب من قوله تعالى(آلم غلبت الروم)[10] فتوح بيت المقدس واستنقاذه من العدو فى سنة معينة وكان كما قال

السابع أن العرب كانوا إذا سمعوا القرآن لغوا فيه وقال بعضهم لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه فأنزل الله هذا النظم البديع ليعجبوا منه ويكون تعجبهم سببا لاستماعهم واستماعهم له سببا لاستماع ما بعده فترق القلوب وتلين الأفئدة[11]

الثامن أن هذه الحروف ذكرت لتدل على أن القرآن مؤلف من الحروف التى هى أ ب ت ث فجاء بعضها مقطعا وجاء تمامها مؤلفا ليدل القوم الذين نزل القرآن بلغتهم أنه بالحروف التى يعقلونها ويبنون كلامهم منها

التاسع واختاره ابن فارس وغيره أن تجعل هذه التأويلات كلها تأويلا واحد فيقال إن الله جل وعلا افتتح السور بهذه

الحروف إرادة منه للدلالة بكل حرف منها على معان كثيرة لا على معنى واحد فتكون هذه الحروف جامعة لأن تكون افتتاحا وأن يكون كل واحد منها مأخوذا من اسم من أسماء الله تعالى وأن يكون الله عز وجل قد وضعها هذا الوضع فسمى بها وأن كل حرف منها فى آجال قوم وأرزاق آخرين وهى مع ذلك مأخوذة من صفات الله تعالى فى إنعامه وإفضاله ومجده وأن الافتتاح بها سبب لأن يسمع القرآن من لم يكن سمع وأن فيها إعلاما للعرب أن القرآن الدال على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بهذه الحروف وأن عجزهم عن الاتيان بمثله مع نزوله بالحروف المتعالمة بينهم دليل على كفرهم وعنادهم وجحودهم وأن كل عدد منها إذا وقع أول كل سورة فهو اسم لتلك السورة

قال وهذا القول الجامع للتأويلات كلها والله أعلم بما أراد من ذلك

العاشر أنها كالمهيجة لمن سمعها من الفصحاء والموقظة للهمم الراقدة من البلغاء لطلب التساجل والأخذ فى التفاصيل وهى بمنزلة زمجرة الرعد قبل الناظر فى الأعلام لتعرف الأرض فضل الغمام وتحفظ ما أفيض عليها من الإنعام وما هذا شأنه خليق بالنظر فيه والوقوف على معانيه بعد حفظ مبانيه

الحادى عشر التنبيه على أن تعداد هذه الحروف ممن لم يمارس الخط ولم يعان الطريقة على ما قال تعالى (وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِنْ قَبْلِه مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)[12]

الثانى عشر

على الناظر فى كتاب الله الكاشف عن أسراره مراعاة أمور أحدها وهو أول واجب عليه أن يفهم معنى ما يريد أن يعربه مفردا كان أو مركبا قبل الإعراب فإنه فرع المعنى ولهذا لا يجوز إعراب فواتح السور إذا قلنا بأنها من المتشابه الذى استأثره الله بعلمه [13]

قال بعض السلف في القرآن ميادين وبساتين ومقاصير وعرائس وديابيج ورياض فميادينه ما افتتح ب الم وبساتينه ما افتتح بـ" الر " ومقاصيره الحامدات وعرائسه المسبحات وديابيجه آل عمران وريـاضـه المفصل وقالوا الطواسيم والطواسين وآل حم والحواميم.[14]

يقول ابن كثير في تفسيره لا شك أن هذه الحروف لم ينزلها سبحانه وتعالى عبثا ولا سدى ومن قال من الجهلة إن في القرآن ما هو تعبد لا معنى له بالكلية فقد أخطأ خطأ كبيرا فتعين أن لها معنى في نفس الأمر فإن صح لنا فيها عن المعصوم شيء قلنا به وإلا وقفنا حيث وقفنا وقلنا (مُحْ

آمنا به كل من عند ربنا) ولم يجمع العلماء فيها على شيء معين وإنما اختلفوا فمن ظهر له بعض الأقوال بدليل فعليه اتباعه وإلا فالوقف حتى يتبين هذا المقام[١٥]

وقال جمع من العلماء كثير : بل نحب أن نتكلم فيها ونلتمس الفوائد التي تحتها والمعاني التي تتخرج عليها واختلفوا في ذلك على أقوال عديدة فقيل هي :

. اسم الله الأعظم إلا أنا لا نعرف تأليفه منها[١٦]

. هي إشارة إلى حروف الهجاء أعلم الله بها العرب حين تحداهم بالقرآن أنه مؤتلف من حروف هي التي بناء كلامهم عليها ليكون عجزهم عنه أبلغ في الحجة عليهم إذ لم يخرج عن كلامهم[١٧] كانوا ينفرون عند استماع القرآن فلما نزل الم المص استنكروا هذا اللفظ فلما أنصتوا له صلى الله عليه وسلم أقبل عليهم بالقرآن المؤتلف ليثبته في أسماعهم وآذانهم ويقيم الحجة عليهم[١٨] وقال قوم : روي أن المشركين لما أعرضوا عن القرآن بمكة (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ)[١٩] فأنزلها استغربوها فيفتحون أسماعهم فيسمعون القرآن بعدها فتجب عليهم الحجة

. وقال جماعة : هي حروف دالة على أسماء أخذت منها وحذفت بقيتها كقول ابن عباس وغيره الألف من الله واللام من جبريل والميم من محمد وذهب إلى هذا الزجاج فقال : أذهب إلى أن كل حرف منها يؤدي عن معنى وقد تكلمت العرب بالحروف المقطعة كقوله : فقلت لها قفي فقالت قاف : أي وقفت وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من أعان على قتل مسلم بشطر كلمة لقي الله يوم القيامة مكتوب على جبهته آيس من رحمة الله)[٢٠] قال شقيق : هو أن يقول أ في اقتل اق كما قال صلى الله عليه وسلم فعن الحسن في الرجل يجد مع امرأته رجلا قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم(كفى بالسيف شا يريد أن يقول شاهدا فلم يتم الكلام حتى قال إذا يتبايع فيه السكران والغيران)[٢١]

. وقيل هي أقسام أقسم الله بها لشرفها وفضلها وهي من أسمائه[٢٢]

. وقال جماعة هي معلومة المعاني و كل حرف منها مفتاح اسم من أسمائه كما في كهيعص : الكاف من كافي والهاء من هادي والياء من حكيم والعين من عليم والصاد من صادق[٢٣] وقيل في المص أنا الله الملك الصادق و في آلم : الألف مفتاح اسمه الله واللام مفتاح اسمه اللطيف والميم مفتاح اسمه المجيد[٢٤] والألف آلاء الله واللام لطفه والميم ملكه[٢٥] وروى سعيد بن جبير عن

ابن عباس أنه قال معنى آلم : أنا الله أعلم : ومعنى آلمص : أنا الله أعلم وأفضل ومعنى آلر : أنا الله أرى ومعنى آلمر : أنا الله أعلم وأرى [٢٦]

قال الزمخشري ولم ترد كلها مجموعة في أول القرآن وإنما كررت ليكون أبلغ في التحدي والتبكيت كما كررت قصص كثيرة وكرر التحدي بالصريح في أماكن قال وجاء منها على حرف واحد كقوله . ص ن ق . وحرفين مثل (حم) وثلاثة مثل (الم) وأربعة مثل (المر) و (المص) وخمسة مثل (كهيعص) (حم × عسق) لأن أساليب كلامهم على هذا من الكلمات ما هو على حرف وعلى حرفين وعلى ثلاثة وعلى أربعة وعلى خمسة لا أكثر من ذلك (قلت) ولهذا كل سورة افتتحت بالحروف فلا بد أن يذكر فيها الانتصار للقرآن وبيان إعجازه وعظمته وهذا معلوم بالاستقراء وهو الواقع في تسع وعشرين سورة ولهذا يقول تعالى (الم × ذلك الكتاب لا ريب فيه)[٢٧] (الم × الله لا إله إلا هو الحي القيوم × نزل عليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه)[٢٨] (المص × كتاب أنزل إليك فلا يكن في صدرك حرج منه)[٢٩] (الر كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم)[٣٠] (الم × تنزيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)[٣١] (حم × تنزيل من الرحمن الرحيم)[٣٢] (حم × عسق × كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم)[٣٣] وغير ذلك من الآيات الدالة على صحة ما ذهب إليه هؤلاء لمن أمعن النظر والله أعلم

وأما من زعم أنها دالة على معرفة المدد وأنه يستخرج من ذلك أوقات الحوادث والفتن والملاحم فقد ادعى ما ليس له وطار في غير مطاره وقد ورد في ذلك حديث ضعيف وهو مع ذلك أدل على بطلان هذا المسلك من التمسك به على صحته [٣٤]

المطلب الثالث :

منهج المتكلمين في تأويل الحروف

أنكر المتكلمون القول بأن الحروف من المتشابه ، وقالوا لا يجوز أن يرد في كتاب الله تعالى ما لا يكون مفهوماً للخلق ، واحتجوا عليه بالآيات والأخبار والمعقول أما الآيات فأربعة عشر أحدها : قوله تعالى : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان أَمْ على قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا)٣٥ أمرهم بالتدبر في القرآن ، ولو كان غير مفهوم فكيف يأمرهم بالتدبر فيه وثانيها : قوله : (أَفَلاَ يَتَدَبَّرُونَ القرءان وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ الله لَوَجَدُواْ فِيهِ اختلافا كَثِيراً)[٣٦] فكيف يأمرهم بالتدبر فيه لمعرفة نفي التناقض والاختلاف مع أنه غير مفهوم للخلق؟ وثالثها : قوله : (وَإِنَّهُ لَتَنزِيلُ رَبِّ العالمين نَزَلَ بِهِ الروح الأمين على قَلْبِكَ

لِتَكُونَ مِنَ المنذرين بِلِسَانٍ عَرَبِىّ مُّبِينٍ)[37] فلو لم يكن مفهوماً بطل كون الرسول صلى الله عليه وسلم منذراً به ، وأيضاً قوله : (بِلِسَانٍ عَرَبِىّ مُّبِينٍ) يدل على أنه نازل بلغة العرب ، وإذا كان الأمر كذلك وجب أن يكون مفهوماً . ورابعها : قوله : (لَعَلِمَهُ الذين يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ)[38] والاستنباط منه لا يمكن إلا مع الإحاطة بمعناه وخامسها : قوله (تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَىْءٍ)[39] وقوله (مَّا فَرَّطْنَا فِى الكتاب مِن شَىْءٍ)[40] وسادسها : قوله : (هُدًى لِّلنَّاسِ)[41] ، (هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ)[42] وغير المعلوم لا يكون هدى وسابعها : قوله : (حِكْمَةٌ بالغة)[43] وقوله (وَشِفَاء لِّمَا فِى الصدور وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ)[44] وكل هذه الصفات لا تحصل في غير المعلوم وثامنها : قوله : (قَدْ جَاءكُمْ مِّنَ الله نُورٌ وكتاب مُّبِينٌ)[45]

وتاسعها : قوله : (أَوَ لَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الكتاب يتلى عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذلك لَرَحْمَةً وذكرى لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)[46] وكيف يكون الكتاب كافياً وكيف يكون ذكرى مع أنه غير مفهوم؟ وعاشرها : قوله تعالى : (هذا بلاغ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُواْ بِهِ)[47] فكيف يكون بلاغاً ، وكيف يقع الإنذار به مع أنه غير معلوم؟ وقال في آخر الآية (وَلِيَذَّكَّرَ أُوْلُواْ الألباب)[48] وإنما يكون كذلك لو كان معلوماً الحادي عشر : قوله : (قَدْ جَاءكُمْ بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُّبِيناً)[49] فكيف يكون برهان ونوراً مبيناً مع أنه غير معلوم ؟ الثاني عشر : قوله : (فَمَنِ اتبع هُدَاىَ فَلاَ يَضِلُّ وَلاَ يشقى وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً)[50] فكيف يمكن اتباعه والأعراض عنه غير معلوم؟ الثالث عشر : (إِنَّ هذا القرءان يِهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ)[51] فكيف يكون هادياً مع أنه غير معلوم؟ الرابع عشر : قوله تعالى : (آمن الرسول)[52] إلى قوله (سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا)٥٣ والطاعة لا تمكن إلا بعد الفهم فوجب كون القرآن مفهوماً [54].

احتجاجهم بالمعقول :

وأما المعقول فهو أن الأفعال التي كلفنا بها قسمان . منها ما نعرف وجه الحكمة فيها على الجملة بعقولنا : كالصلاة والزكاة والصوم؛ فإن الصلاة تواضع محض وتضرع للخالق ، والزكاة سعي في دفع حاجة الفقير ، والصوم سعي في كسر الشهوة . ومنها ما لا نعرف وجه الحكمة فيه : كأفعال الحج فإننا لا نعرف بعقولنا وجه الحكمة في رمي الجمرات والسعي بين الصفا والمروة ، والرمل ، والاضطباع ، ثم اتفق المحققون على أنه كما يحسن من الله تعالى أن يأمر عباده بالنوع الأول فكذا يحسن الأمر منه بالنوع الثاني ، لأن الطاعة في النوع الأول لا تدل على كمال

الانقياد لاحتمال أن المأمور إنما أتى به لما عرف بعقله من وجه المصلحة فيه ، أما الطاعة في النوع الثاني فإنه يدل على كمال الانقياد ونهاية التسليم ، لأنه لما لم يعرف فيه وجه مصلحة البتة لم يكن إتيانه به إلا لمحض الانقياد والتسليم ، فإذا كان الأمر كذلك في الأفعال فلم لا يجوز أيضاً أن يكون الأمر كذلك في الأقوال؟ وهو أن يأمرنا الله تعالى تارة أن نتكلم بما نقف على معناه ، وتارة بما لا نقف على معناه ، ويكون المقصود من ذلك ظهور الانقياد والتسليم من المأمور للآمر ، بل فيه فائدة أخرى ، وهي أن الإنسان إذا وقف على المعنى وأحاط به سقط وقعه عن القلب ، وإذا لم يقف على المقصود مع قطعه بأن المتكلم بذلك أحكم الحاكمين فإنه يبقى قلبه متلفتاً إليه أبداً ، ومتفكراً فيه أبداً ، ولباب التكليف إشغال السر بذكر الله تعالى والتفكر في كلامه ، فلا يبعد أن يعلم الله تعالى أن في بقاء العبد ملتفت الذهن مشتغل الخاطر بذلك أبداً مصلحة عظيمة له ، فيتعبده بذلك تحصيلاً لهذه المصلحة"

ومن أدق ما أبرزه المتكلمون في معاني هذه الحروف ما ذكره الزمخشري في الكشاف فإنه قال :[واعلم أنك إذا تأملت ما أورده الله عز سلطانه في الفواتح من هذه الأسماء وجدتها نصف أسامي حروف المعجم أربعة عشر سواء : وهي الألف واللام والميم والصاد والراء والكاف والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون في تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم ثم إذا نظرت في هذه الأربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف بيان ذلك أن فيها من المهموسة نصفها الصاد والكاف والهاء والسين والحاء ومن المجهورة نصفها الألف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون ومن الشديدة نصفها الألف والكاف والطاء والنون ومن الرخوة نصفها اللام والميم والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون ومن المطبقة نصفها الصاد والطاء ومن المنفتحة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون ومن المستعلية نصفها القاف والصاد والطاء ومن المنخفضة نصفها الألف واللام والميم والراء والكاف والهاء والتاء والعين والسين والحاء والنون ومن حروف القلقلة نصفها القاف والطاء ثم إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التي ألغى الله ذكرها من هذه الأجناس المعدودة مكنوزة بالمذكورة منها فسبحان الذي دقت في كل شيء حكمته وقد علمت

أن معظم الشيء وجله ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف التنزيل واختصاراته فكأن الله عز اسمه عدد على العرب الألفاظ التي منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إياهم وما يدل على أنه تعمد بالذكر من حروف المعجم أكثرها وقوعا في تراكيب الكلم أن الألف واللام لما تكاثر وقوعهما فيها جاءتا في معظم هذه الفواتح مكررتين وهي فواتح سورة البقرة وآل عمران والروم والعنكبوت ولقمان والسجدة والأعراف والرعد ويونس وإبراهيم وهود ويوسف والحجر[٥٦]

المطلب الرابع :

الحكمة من هذه الحروف

الحكمة في إبهام هذه الحروف أن العقول الضعيفة لا تحتمل الأسرار القوية ، كما لا يحتمل نور الشمس أبصار الخفافيش ، فلما زيدت الأنبياء في عقولهم قدروا على احتمال أسرار النبوة ، ولما زيدت العلماء في عقولهم قدروا على احتمال أسرار ما عجزت العامة عنه ، وكذلك علماء الباطن ، وهم الحكماء زيد في عقولهم فقدروا على احتمال ما عجزت عنه علماء الظاهر[٥٧] .

ولقد اورد ابن كثير في تفسيره مجموعة من الاقوال في الحكمة من هذه الحروف ثم فندها جميعا يقول : (قال بعضهم إنما ذكرت ليعرف بها أوائل السور[٥٨] وهذا ضعيف لأن الفصل حاصل بدونها فيما لم تذكر فيه وفيما ذكرت فيه البسملة تلاوة وكتابة وقال آخرون بل ابتدئ بها لتفتح لاستماعها أسماع المشركين إذ تواصوا بالإعراض عن القرآن حتى إذا استمعوا له تلا عليهم المؤلف منه[٥٩] وهو ضعيف لأنه لو كان كذلك لكان ذلك في جميع السور لا يكون في بعضها بل غالبها وليس كذلك أيضا لانبغى الابتداء بها في أوائل الكلام معهم سواء كان افتتاح سورة أو غير ذلك ثم إن هذه السورة والتي تليها أعني البقرة وآل عمران مدنيتان ليستا خطابا للمشركين فانتقض ما ذكروه بهذه الوجوه وقال آخرون بل إنما ذكرت هذه الحروف في أوائل السور التي ذكره فيها بيانا لإعجاز القرآن وأن الخلق عاجزون عن معارضته بمثله هذا مع أنه مركب من هذه الحروف المقطعة التي يتخاطبون بها [٦٠]

.وقيل فائدة ذكرها طلب الإيمان بها [٦١]

وبعد البحث عن الحروف المقطعة وما قيل عنها فإن جملة ما ذهب اليه العلماء وكون اعتبارها من المتشابه او العكس لا يدخلها في جملة المتشابة الذي يمس اصول الدين ويؤدي الى تباين فكري وتعدد للمناهج في فهم العقيدة الإسلامية

المبحث الثاني :

ما احتمل الوجوه فلم يعرف بنفسه

إن نصوص الكتاب تنقسم إلى قسمين من حيث الدلالة : ما هو واضح الدلالة ، وما هو خفي الدلالة ، فواضح الدلالة الذي لا يحتمل إلا معنىً واحداً هو المحكم، وأما ما خفيت دلالته أو احتمل أكثر من معنى فإنه المتشابه [٦٢]

وللمتشابه تأويلات متعددة ، لكن الله لم يرد إلا واحدًا منها، وسياق الآية يدل على المراد . وحينئذ، فالراسخون في العلم يعلمون المراد من هذا، كما يعلمون المراد من المحكم ، لكن نفس التأويل الذي هو الحقيقة ووقت الحوادث ونحو ذلك لا يعلمونه لا من هذا ولا من هذا

وقد قيل : إن نصارى نجران احتجوا بقوله : (بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ)[٦٣] ، (وَرُوحٌ مِّنْهُ)[٦٤] ، ولفظ : كلمة الله ، يراد به الكلام ، ويراد به المخلوق بالكلام، (وَرُوحٌ مِّنْهُ) يراد به ابتداء الغاية ، ويراد به التبعيض . فعلى هذا إذا قيل : تأويله لا يعلمه إلا الله ، المراد به الحقيقة ، أي : لا يعلمون كيف خلق/ عيسى بالكلمة، ولا كيف أرسل إليها روحه فتمثل لها بشرًا سويًا، ونفخ فيها من روحه[٦٥]وقد روي عن أبى الدرداء . رضي الله عنه . أنه قال : إنك لا تفقه كل الفقه حتى ترى القرآن وجوها . وقد صنف الناس كتب الوجوه والنظائر، فالنظائر : اللفظ الذي اتفق معناه في الموضعين وأكثر . والوجوه : الذي اختلف معناه، كما يقال : الأسماء المتواطئة والمشتركة ، وإن كان بينهما فرق، .

وقد تكلم المسلمون سلفهم وخلفهم في معاني الوجوه، وفيما يحتاج إلى بيان وما يحتمل وجوهًا، فعلم يقينًا أن المسلمين متفقون على أن جميع القرآن مما يمكن العلماء معرفة معانيه وعلم أن من قال : إن من القرآن ما لا يفهم أحد معناه، ولا يعرف معناه إلا الله، فإنه مخالف لإجماع الأمة مع مخالفته للكتاب والسنة .[٦٦]

وإنما يفسر ما احتمل الوجوه ما دلت عليه سنة أو أثر عن بعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم لا مخالف له أو أمر اجتمعت عليه عوام الفقهاء[٦٧]

وعن ابن عباس أن علي بن أبي طالب أرسله إلى الخوارج فقال اذهب إليهم فخاصمهم ولا تحاجهم بالقرآن فإنه ذو وجوه ولكن خاصمهم بالسنة قال له يا أمير المؤمنين فأنا أعلم بكتاب الله منهم في بيوتنا نزل قال صدقت ولكن القرآن حمال ذو وجوه تقول ويقولون ولكن خاصمهم بالسنن فإنهم لن يجدوا عنها محيصا فخرج إليهم فخاصمهم بالسنن فلم تبق بأيديهم حجة [٦٨] .

وعليه فإن تعدد وجوه معاني القرآن لم يكن سببا للخلاف بين علماء أصول الدين ففي وجود القرائن مندوحة عن النزاع ولعل تعدد وجوه المعاني يعد من الإعجاز البياني للقرآن فإن اعتبر (ما احتمل الوجوه) من المتشابه لكثرة معانيه فأنة لم يشكل خلافا فكريا بين العلماء مما يترتب عليه تعدد المناهج في فهم العقيدة الإسلامية ٠

المبحث الثالث : المجمل

المطلب الأول : المجمل لغة واصطلاحا :

سبق لنا الحديث عن المجمل في الجزء الثاني من هذا البحث وعلمنا أنه اعتبر اصطلاحاً من المتشابه لاحتياجه إلى التحديد ، ولقد قرر ذلك عدد من العلماء يقول صاحب البرهان : (والمتشابه هو المجمل)[٦٩] ويقول صاحب تفسير الخازن : (المتشابه هو المجمل ويطلب بيانه من السنة فقوله تعالى :)(لتبين للناس ما نزل إليهم)محمول على ما أجمل فيه دون المحكم البين المفسر)[٧٠] كما علمنا ان غالب وقوعه في ابواب الفقه ولكنا نود الوقوف على تعريفه ومعرفة موقف علماء الكلام منه

المجمل لغة:

المجمل لغة هو المبهم من أجمل الأمر إذا أبهم وقيل: هو المجموع ، من أجمل الحساب إذا جمعه وجعله جملة واحدة، وقيل: هو المتحصل من أجمل الشيء إذا حصله، والجملة جماعة كل شيء بكماله[٧١].

المجمل اصطلاحا :

ولقد سبق لنا الحديث عن المجمل في اصطلاح الأصوليين فالمجمل عند الأحناف أحد أقسام أربعة للمبهم : وهى الخفي، والمشكل، و المجمل، والمتشابه.

ولهم فيه تعريفات منها :

. هو ما ازدحمت فيه المعاني واشتبه المراد منه اشتباها لا يدرك بنفس العبارة بل بالرجوع إلى الاستفسار، ثم الطلب ثم التأمل[٧٢] .

. ومنها المجمل لفظ لا يفهم المراد منه إلا باستفسار من المجمل وبيان من جهته، وذلك إما لتوحش في معنى الاستعارة ، أو فى صيغة عربية مما يسميه أهل الأدب لغة غريبة [٧٣]

. ومنها المجمل اللفظ الذي خفي المراد منه فلا يدرك إلا بالنقل[٧٤]

المطلب الثاني :

المجمل عند المتكلمين وأقسامه :

عرف المجمل عند علماء الأصول الذين جروا على طريقة المتكلمين بتعريفات عدة:

. المجمل هو ما لا يعقل معناه من لفظه ويفتقر فى معرفة المراد إلى غيره [٧٥]

الحق أن يقال بأن المجمل هو ما له دلالة

على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه[٧٦] .

. المجمل هو ما لم تتضح دلالته [٧٧]

. المجمل ما لا يستقل بنفسه فى المراد منه حتى يأتى تفسيره [٧٨]

المجمل عند الظاهرية

لفظ يقتضى تفسيرا يؤخذ من لفظ آخر[٧٩]

أقسام المجمل:

أحدها: أن يكون مجملا بين حقائقه ، أى بين معان وضع اللفظ لكل منها، كقوله تعالى: " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء "، فإن القرء موضوع بإزاء حقيقتين وهما: الحيض والطهر.

والثانى: أن يكون مجملا بين أفراد حقيقة واحدة، كقوله تعالى: " إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة "، فإن لفظ البقرة موضوع لحقيقة واحدة معلومة ولها أفراد، والمراد واحد معين منها.

والثالث: أن يكون مجملا بين مجازاته وذلك إذا انتفت الحقيقة، وتكافأت المجازات، فلم يترجح بعضها على بعض .

و يكون الإجمال تارة فى لفظ مفرد ، وتارة يكون فى لفظ مركب، وتارة فى نظم الكلام والتصريف وحروف النسق ومواضع الوقف والابتداء. أما اللفظ المفرد فقد يصلح لمعان مختلفة كالعين للشمس والذهب والعضو الباصر والميزان، وقد يصلح لمتضادين كالقرء، للطهر والحيض، والناهل للعطشان والريان، وقد يصلح لمتشابهين بوجه ما ، كالنور للعقل ونور الشمس، وقد يصلح لمتماثلين كالجسم للسماء والأرض ، وقد يكون موضوعا لهما من غير تقديم وتأخير، وقد يكون مستعارا لأحدهما من الآخر كقولك : الأرض أم البشر فإن الأم وضع اسما.للوالدة أولا، وكذلك اسم المنافق والكافر والفاسق والصوم والصلاة فإنه نقل فى الشرع إلى معان ولم يترك المعنى الوضعى أيضا.

أما الاشتراك مع التركيب فكقوله تعالى: (وَإِنْ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلَا تَنْسَوُا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)[٨٠] فإن جميع هذه الألفاظ مرددة بين الزوج والولى .

وأما الذى بحسب التصريف فكالمختار للفاعل والمفعول، وقد يكون بحسب الوقف والابتداء مثل قوله تعالى: (وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ)[٨١] من غير وقف يخالف الوقف على قوله (إلا الله) وذلك لتردد الواو بين العطفة

المطلب الثالث :

العلاقة بين المجمل والمتشابة :

يقسيم الأحناف الخفى الدلالة إلى أقسام أربعة : الخفى، والمشكل، والمجمل، والمتشابه وعلى هذا يعد المجمل عندهم قسما من أقسام الخفي ، فكل مجمل عندهم خفي دون العكس وعليه فإن كل من المجمل والمتشابه قسم من اقسام الخفي والفرق بينهما أن المجمل يدرك المراد منه بالنقل، وأما المتشابه فلا يدرك المراد منه أصلا [٨٢]

المجمل عند المتكلمين :

يرى جمهور من كتب من الأصوليين على طريقة المتكلمين أن المجمل هو المبهم، اللفظ المفيد بالإضافة إلى مدلوله إما ألا يتطرق إليه احتمال فيسمى نصا، أو يتعارض فيه الاحتمالات من غير ترجيح فيسمى مجملا ومبهما

و يرى أكثر المتكلمين أن المتشابه هو المجمل يقول الغزالى : (والمتشابه ما تعارض فيه الاحتمال، وأما المتشابه فيجوز أن يعبر به عن الأسماء المشتركة كالقرء، والذى فى قوله تعالى: (أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) فإنه مردد بين الزوج والولى، وكاللمس المردد بين المس والوطء، وقد يطلق على ما ورد فى صفات الله مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج إلى تأويله ، فهذا تعريف للمتشابه بما يجعله والمجمل شيئا واحدا، وذلك فى الإطلاق المشهور) [٨٣]

ويقول إمام الحرمين فى البرهان: (المختار عندنا أن المحكم كل ما علم معناه وأدرك فحواه والمتشابه هو المجمل)[٨٤]

.: منهم من قال هو والمجمل واحد. ومنهم من قال: المتشابه ما استأثر الله بعلمه ولم يطلع عليه أحدا من خلقه [٨٥]

. ومنهم من جعل المجمل قسما من أقسام المتشابه ، حيث جعل المتشابه ما تعارض فيه الاحتمال وذلك على جهتين : إما بجهة التساوى كالألفاظ المجملة، كما فى قوله تعالى: (وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ)[٨٦] لاحتمال القرء زمن الحيض والطهر على السوية ، وإما لا على جهة التساوى كالأسماء المجازية، وإما ظاهره موهم للتشبيه ، وهو مفتقر إلى تأويل، كقوله تعالى: (وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ)[٨٧] (وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي) [٨٨] (مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا)[٨٩] وعلى هذا يكون المجمل من أنواع المتشابه ، فكل مجمل متشابه ولا عكس.

.ومنهم من جعل المتشابه جنسا لنوعين هما المجمل والمؤول، فقيل أن المجمل والمؤول مشتركان فى أن كلا منهما يفيد معناه إفادة غير راجحة، إلا أن المؤول مرجوح أيضا، والمجمل ليس مرجوحا بل مساويا، فالقدر

المشترك بينه من عدم الرجحان يسمى بالمتشابه ، فهو جنس لنوعين : المجمل والمؤول

مسلك أهل الظاهر:

فقد عرفوا المجمل بأنه : لفظ يقتضى تفسيرا يؤخذ من لفظ آخر وذكروا أن المتشابه لا يوجد فى شيء من الشرائع، وقالوا أننا نهينا عن اتباع تأويله وعن طلبه، وأمرنا بالإيمان به جملة فالمتشابه لا يمكن تفسيره [٩٠]

المطلب الرابع : حكم المجمل

ويرى جمهور الأصوليين أن الإجمال واقع فى الكتاب والسنة وأنكر ذلك الظاهرى.[٩١] وحكمه اعتقاد الحقية فيما هو المراد ، والتوقف فيه إلى أن يتبين المراد به من المجمل[٩٢] و يفسر، ولا يصح الاحتجاج بظاهره فى شيء يقع فيه النزاع والأصح وقوعه- أى المجمل- فى الكتاب والسنة، ومنه قوله تعالى :(أو يعفو الذى بيده عقدة النكاح) ، وقوله - عليه الصلاة والسلام -: (لا يمنع أحدكم جاره أن يضع خشبة فى جداره)

ونفاه داود الظاهرى ويمكن أن ينفصل عنها بأن الأول ظاهر فى الزوج لأنه المالك للنكاح، والثانى ظاهر فى عوده إلى الأحد، لأنه محط الكلام [٩٣]

واختلف الأصوليون فى بقاء المجمل فى القرآن بعد وفاة الرسول.صلى الله غليه وسلم وقيل أنه لم يبق مجمل فى كتاب الله تعالى بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ، وقال إمام الحرمين المختار: أن ما ثبت التكليف به لا إجمال فيه، لأن التكليف بالمجمل تكليف بالمحال، وما لا يتعلق به تكليف فلا يبعد استمرار الإجمال فيه بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم [٩٤]

. وقيل إن تعلق به حكم تكليفى فلا يجوز وذلك كالأسماء الشرعية مثل الصلاة فإنا نعلم قطعا أن معناها اللغوى وهو الدعاء غير مراد فلا بد من معنى آخر شرعى، وهو غير مدرك بالعقل إلا ببيان من الشارع وقد بينه قولا وفعلا، وكالربا فإنه لغة مطلق الزيادة، ولا شك أنه ليس كل زيادة محرمة، فهى زيادة مخصوصة فى الشرع وهى غير معلومة إلا بالبيان وقد بينها وأما ما لا يتعلق به التكليف كالمتشابه الذى لا يدرك لا بالعقل ولا بغيره فيجوز .[٩٥]

. قيل لا يوجد مجمل في كتاب الله بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم لأن الله تعالى أكمل الدين قبل وفاته بقوله: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ)[٩٦]

وقيل نعم يوجد ، قال الله تعالى فى متشابه الكتاب: (وما يعلم تأويله إلا الله) إذ الوقف هنا كما عليه جمهور العلماء، وإذا ثبت فى الكتاب ثبت فى السنة لعدم القائل بالفرق

بينهما. والأصح لا يبقى المجمل المطلق بمعرفته غير مبين للحاجة إلى بيانه حذرا من التكليف بما لا يطاق بخلاف غير المكلف به [٩٧]

المبحث الرابع

الذي يغمض علمه على غير العلماء والمحققين كالآيات التي ظاهرها التعارض

قال ابن عقيل [٩٨]: المتشابه هو الذي يغمض علمه على غير العلماء والمحققين، كالآيات التي ظاهرها التعارض، كقوله تعالى: (هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُون) [٩٩] وقال -تعالى- في آية أخرى: (قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا) [١٠٠] ونحو ذلك. [١٠١]

أي: من الآيات التي ظاهرها التعارض، وهي في الواقع ليست كذلك، قال الواحدي: قال المفسرون: في يوم القيامة مواقف، ففي بعضها يتكلمون، وفي بعضها يختم على أفواههم فلا يتكلمون. [١٠٢]

قال صلى الله عليه وسلم - ((لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة)) [١٠٣] قالت له حفصة أليس الله يقول : (وإن منكم إلا واردها) قال : ((ألم تسمعي قوله تعالى (ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا [١٠٤] (مريم : ٧٢) [١٠٥] فأشكل عليها الجمع بين النصين وظنت الورود دخولها كما يقال ورد المدينة إذا دخلها فأجاب النبي- صلى الله عليه وسلم - بأن ورود المتقين غير ورود الظالمين فإن المتقين يردونها وروداً ينجون به من عذابها والظالمين يردونها وروداً يصيرون جثياً فيها به. فليس الورود كالورود [١٠٦]

المنهج الصحيح لفهم ما أوهم التعارض :

الناس أمام النصوص التي ظاهرها التعارض قسمان ، قسم جعل هذا المتبادر من التعارض ذريعة للطعن في الدين وهذا والعياذ بالله من شرار الخلق ، نسأل الله السلامة والعافية • وقسم نزع بنوع من أنواع الأدلة وترك النوع الآخر، وربما تأوله على غير تأويله وهذه أيضا ضلالة عن الهدى واتباع للهوى .أما أهل الحق فيعملون بجميع الأدلة ويحملونها على محاملها في مواضعها على ما يقتضيه النظر العلمي الشرعي المؤصل كما فعل سلفهم الصالح من الصحابة رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان، فكانوا هم أسعد الناس بالعمل بالكتاب والسنة .

والواجب على من نظر في نصوص الوحيين أن يحسن نظره فيهما وأن يظن فيهما ما يوافق الحق، وإن توهم التعارض فليكل العلم إلى عالمه ولا يضرب النصوص بعضها ببعض. فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: (إذا حدثتكم عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثا فظنوا به الذي هو أهناه وأهداه وأتقاه) [١٠٧] قال

الشاطبي رحمه الله في الموافقات : إن كل من تحقق بأصول الشر يعة فأدلتها عنده لا تتعارض كما أن كل من حقق مناط المسائل فلا يكاد يقف في متشابهه أجمع المسلمون على تعارضهما بحيث وجب عليهم الوقوف أي التوقف والامتناع بادي الرأي على إظهار حكم الله في المسألة او لا يوجد إن المسلمين يجمعون ويقولون ويقفون ويقولون هذا تعارض لا نعرف حكم الله تعالى هذا أمر غير موجود أبدا في الشريعة و إذا تقرر هذا فعلى الناظر في الشريعة بحسب هذه المقدمة عليه أن ينتبه إلى أمرين :أحدهما : أن ينظر إلى الشريعة بعين الكمال ولا ينظر إليها على أن فيها تعارضا وأن يوقن أن لا تضاد بين آيات القرآن ولا بين الأخبار النبوية ولا بين أحدهما مع الآخر فإذا أدى بادي الرأي إلى ظاهر الاختلاف فواجب عليه أن يعتقد انتفاء الخلاف لأن الله قد شهد أن لا اختلاف فيه فليقف وقوف المضطر السائل عن وجه الجمع أو المسلم من غير اعتراض

والأمر الثاني : إن قوما قد أغفلوا ولم يمعنوا النظر حتى اختلف عليهم الفهم في القرآن والسنة فأحالوا بالاختلاف عليهما وهو الذي عاب عليهم رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من حال الخوارج حيث قال يقرؤون القرآن ولا يجاوز تراقيهم ولا يجاوز حناجرهم[١٠٨]

ولو فُرض جدلا وانه قد حدث بالفعل(تعارض بين العقل والنقل فذلك لسببين لا ثالث لهما ، إما أن النقل لم يثبت فيتمسك مدعي التعارض بحديث ضعيف أو موضوع وينقلها للناس على أنه من كلام النبي دون تمحيص ، والسبب الثاني في التعارض بين العقل والنقل أن العقل لم يفهم النقل ولم يدرك خطاب الله) على النحو الصحيح .

والذي يقدم عقله على الكتاب والسنة في باب الأسماء والصفات وغير ذلك من الغيبيات أو الأحكام والتكليفات ، لا بد أن يعلم أن الله عز وجل لما أهبط الأبوين من الجنة عهد إليهما عهدا لهما ولجميع الذرية إلى يوم القيامة ، وضمن لمن تمسك بعهده أنه لا يضل ولا يشقى ، ولمن أعرض عنه معيشة ضنكا .

كما أن المتمسكين بالأدلة القرآنية والنبوية والذين يقدمونها على آرائهم وعقولهم لاسيما في باب الصفات الإلهية ، هؤلاء قد شهد الله لهم بالعلم واليقين وكفى به شهيدا بين المختصمين ، شهد لهم أنهم على بصيرة من ربهم وبينة من أمرهم وأنهم هم أولو العقل والألباب ، وأن لهم نورا على نور وأنهم هم المهتدون المفلحون ، لأن

الرسل في بلاغهم عن ربهم صادقون ولا يخبرون عن الله إلا بالحق الذي يعلمون ولا يخبرون عن أسمائه وصفاته وأفعاله وأحكامه إلا بالحق المحض ، سواء في التكليف والطلب وأحكام العبودية ، أو في الخبر عن توحيد الأسماء والصفات والربوبية [١٠٩]

ولعل الجدل العقلي حول النصوص يغلب على باب الصفات والذي كان له الأثر الأكبر في الفكر الإسلامي بما أحدثه من تقسيم للمسلمين إلى فرق وجماعات تتباين في المنهج الباحث في مسائل العقيدة الإسلامية ، ويُقصر بعض العلماء المتشابه في هذا الباب الباحث في الصفات وذلك ما سيتناوله الجزء التالي من هذا البحث .

(هوامش)

١/ البيضاوي لأبي الخير عبد الله بن عمر: تفسير البيضاوي المسمى "أنوار التنزيل وأسرار التأويل" ، دار الفكر، ١٤٠٢هـ ج ١ ، ص٨٥

٢ / ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ج ١ ، ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، ص ٦١

٣/ أخرجه الترمذي في سننه : باب ما جاء فيمن قرأ حرفا من القرآن ما له من الأجر، ج ٥ ، ص ١٧٥ ح ٢٩١٠ ، انظر الترمذي : الجامع الصحيح سنن الترمذي ، تحقيق : أحمد محمد شاكر وآخرون ، دار إحياء التراث العربي، بيروت

٤ / محمد بن إبراهيم بن علي بن المرتضى بن المفضل الحسني القاسمي : إيثار الحق على الخلق في رد الخلافات الى المذهب الحق من أصول التوحيد ، ج١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط٢، ١٩٨٧م، ، ص ٩٧

٥ / سورة آل عمران : آية ٧

٦ / ابن تَيْمِيَّة : مجموع الفتاوى ، ، جمع وترتيب عبد الرّحمن بن محمّد بن قاسم مطبعة المساحة العسكريّة القاهرة ١٤٠٤ هـ ج ١٧ ، ص ٤٢٠

٧/ انظر ابن كثير : ج ١ ، ص ٦١و الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، للإمام محمد بن علي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٤٣

٨ / هذا أول رجز للوليد بن عقبة، وسبب قوله أنه لما شهد عليه عند عثمان بن عفان بشرب الخمر؛ كتب إليه يأمره بالشخوص، فخرج وخرج معه قوم يعذرونه، فيهم عدي بن حاتم، فنزل الوليد يومًا يسوق بهم؛ فقال يرتجز: قلت لها قفي فقالت قاف... لا تحسبينا قد نسينا الإيجاف
والنشوات من عتيق أوصاف...وعزف قينات علينا غراف
فقال له : "إلى أين تذهب بنا؟ أقم". كذا في "الأغاني" "٥/ ١٨١"، و"شرح شواهد الشافية" "ص٢٧١"، وفي "تأويل مشكل القرآن" "٣٠٩": "وأنشد الفراء ونكره"، وهو في "الصاحبي" "٩٤ . وأورده ابن جني في "الخصائص" "١/ ٣١، ٨١، ٢٤٧"،

٩ / الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، للإمام محمد بن علي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٤٣

١٠ / سورة الروم : آية (١، ٢)

١١ / الشوكاني : فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية ، للإمام محمد بن علي ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ج ١ ، ص ٤٣

١٢ / سورة العنكبوت : آية ٤٨

١٣ / الزركشي البرهان في علوم القرآن ، ج ١ ، ص ١٧٦

١٤/ السيوطي : الإتقان في علوم القرآن ، ص ٢٠١ ،

١٥/ ابن كثير : تفسير للقرآن العظيم ، ج ١ ، ص ٦١

١٦ / عن ابن عباس وعلي، انظر تفسير القرطبي

(الجامع لأحكام القرآن) – دار الكتب العلمية – ١٤١٣هـ. ج١ ، ص ١٥٥

١٧ / قول قطرب والفراء وغيرهما

١٨ / قول قطرب

١٩ / سورة فصلت : الآية ٢٦

٢٠ / أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ، السنن الكبرى ، ج ٨ ، ص ٢٢، ح ١٥٦٤٣ ، مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر أباد، ط١ ، ١٣٤٤ هـ

٢١ / أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني ، مصنف عبد الرزاق ، باب الرجل (لا) يدفف عليه ، ج ٩ ، ص ٤٣٤ ح ١٧٩١٨ المكتب الإسلامي – بيروت ، ط٢ ، ١٤٠٣ ، تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي:

٢٢/ قول الكلبي انظر فتح القدير ج ١ ، ص ٤٣

٢٣ / قال ابن عباس

٢٤ / قول الربيع بن أنس

٢٥ / قول محمد بن كعب

٢٦ / حسين بن مسعود البغوي ، معالم التّنزيل (تفسير البغوي) ، ، تحقيق خالد العك وزميله ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ج ١، دار المعرفة ، ص ٥٨

٢٧ / سورة البقرة : آية ١، ٢

٢٨ / سورة آل عمران : آية ١، ٢

٢٩ / سورة الأعراف : آية ١، ٢

٣٠ / سورة إبراهيم : آية ١

٣١ / سورة السجدة : آية ١، ٢

٣٢ / سورة فصلت : آية ١، ٢

٣٣ / سورة الشوري : آية ١، ٢، ٣

٣٤ / الزّمخشريّ : الكشّاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ، دار الفكر للطّباعة والنّشر،ج ١ ، ط١، ١٣٩٧ هـ ، ص ١٤

٣٥ / سورة محمد : آية ٢٤

٣٦ / سورة النساء : آية٨٢

٣٧ / سورة الشعراء : آية ١٩٢، ١٩٥

٣٨ / سورة النساء : آية ٨٣

٣٩ / سورة النحل : آية ٨٩

٤٠ / سورة الأنعام :آية ٣٨

٤١ / سورة البقرة : آية ١٨٥

٤٢ / سورة البقرة : آية٢

٤٣ / سورة القمر : آية ٥

٤٤ / سورة يونس :آية ٥٧

٤٥ / سورة المائدة : آية١٥

٤٦ / سورة العنكبوت : آية٥١

٤٧ / سورة ابراهيم : آية ٥٢

٤٨ / سورة إبراهيم : آية٥٢

٤٩ / سورة النساء : آية ١٧٤

٥٠ / سورة طه : آية ١٢٣، ١٢٤

٥١ / سورة الإسراء : آية٩

٥٢ / سورة البقرة : ٢٨٥آية

٥٣ / سورة البقرة :آية ٢٨٥

٥٤ / الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط١ ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م ، ص٥

٥٥ / أبو حفص عمر بن علي ابن عادل الدمشقي الحنبلي ، اللباب في علوم الكتاب ، تحقيق : الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض ج ١ ، ، دار الكتب العلمية – بيروت ، لبنان – ١٤١٩ هـ –١٩٩٨ م ، ط١، ص٢٥٦ .

٥٦/ الزمخشري (أبو القاسم محمود بن عمر) : الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، تحقيق : عبد الرزاق المهدي ، ج ١ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، ص ٧٠

٥٧ / الفخر الرازي : مفاتيح الغيب ، ج٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢١هـ ٢٠٠٠ م ، ص٥

٥٨ / حكاه ابن جرير

٥٩ / حكاه ابن جرير أيضا

٦٠/ حكى هذا المذهب الرازي في تفسيره عن المبرد وجمع من المحققين وحكى القرطبي عن الفراء وقطرب نحو هذا وقرره الزمخشري في كشافه ونصره أتم نصر وإليه ذهب الشيخ الإمام العلامة أبو العباس بن تيمية والشيخ الحافظ المجتهد أبو العجاج المزي وحكاه عن ابن تيمية انظر تفسير ابن

كثير ، ج ١ ، ص٦١

٦١/ حسين بن مسعود البغوي ، معالم التَنزيل (تفسير البغوي) ، ، تحقيق خالد العك وزميله ، ج ١ ، دار المعرفة ، ط٢ ، ١٤٠٧ هـ ، ص ٥٨

٦٢ / العثيمين (محمد بن صالح): شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد ، ج ٢، دار الوطن ، الرياض. ١٤١٣ هـ ص٤

٦٣ /سورة أل عمران :آية ٣٩

٦٤ /سورة النساء :آية ١٧١

٦٥/ ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (التفسير) جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم ، ط١ ، ١٣٨١هـ، ج ٥ ، دار الكتاب العربي، بيروت. - ، ص ٣٨٥

٦٦ / ابن تيمية ، مجموع الفتاوى (التفسير) ، ج ٥ ، ص ٤١٤ .

٦٧/الشافعي، الامام ابي عبد الله محمد بن ادريس ، تحقيق: محمود مطرجي. ط١، بيروت، ج٦ ، دار الكتب العلمية ١٤١٣هـ. ، ص ١٥٣

٦٨/ السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن) الإتقان في علوم القرآن ، تحقيق سعيد المندوب ج١ ، دار الفكر ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ، ص ٤١٠

٦٩ / الجويني : البرهان في أصول الفقه، ، تحقيق صلاح محمد عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت، ط١ ، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م. ج ١ ، ص ٤٢٤.

٧٠ / الخازن (عليّ بن محمّد بن إبراهيم البغدادي) : لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن) ،. طبعة ١٣٩٩ هـ ، ج ٤ ، دار الفكر . ص ٩٢

٧١ / انظر لسان العرب ج ١١، ص١٢٨، والقاموس المحيط ج ٣ ص ٥٣١.

٧٢ / البزدوي (علي بن محمد البزدوي الحنفيى،) أصول البزدوى (كنز الوصول الى معرفة الأصول) ،مطبعة جاويد بريس - كراتشي(جامع التراث) ، ج ١ ص ٤٥

٧٣ / السرخسي (محمد بن أحمد بن أبي سهل) أصول السرخسي، ج١ ، دار المعرفة ، بيروت(جامع التراث) ص ١٦٨ .

٧٤ / التفتازاني (لمسعود بن عمر) التلويح عَلَى التوضيح ، ج ٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان، الطبعة الأولى١٤١٦هـ- ١٩٩٦م ص ١٢٦.

٧٥ / الشيرازى (أبو إسحاق) اللمع للشيرازى، تح: د/عبد المجيد تركى- ط- دار الغرب الإسلامى، الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٩٨م. ص٢٧.

٧٦ / ابن حزم (أبومحمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري) الإحكام في أصول الأحكام ، ج٣ ، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط.الثانية ، ص ٩.

٧٧ / الشوكانى (محمد بن علي الشوكاني) إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، ، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط.أولى، ١٣٥٦هـ، ص١٦٧.

٧٨ / إرشاد الفحول للشوكانى ص١٦٧، المرجع السابق

٧٩ / ابن حزم (انظر الإحكام فى أصول الأحكام) ج ١ ص ٤١.

٨٠ / سورة البقرة : آية ٢٣٧

٨١ / سورة آل عمران : آية ٧

٨٢ / انظر التلويح على التوضيح ج ١ ص ١٢٥.

٨٣ / الغزالي (محمد بن محمد الغزالي أبو حامد) المستصفى في علم الأصول ، تحقيق : محمد عبد السلام عبد الشافي ، ج ١ ، دار الكتب العلمية - بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤١٣ ، ص ١٠٦.

٨٤ / البرهان لإمام الحرمين لوحة ١١٢.

٨٥ / البرهان لإمام الحرمين لوحة ١١٢.

٨٦ / سورة البقرة : آية ٢٢٨

٨٧ / سورة الرحمن : آية ٢٧

٨٨ / سورة الحجر : ٢٩آية

٨٩ / سورة يس : ٧١آية

٩٠ / الأحكام لابن حزم : ج١ ، ص ٣٩

٩١ / إرشاد الفحول الشوكاني ص١٦٨.

٩٢ / أصول السرخسى ج ١ ، ص ١٦٨.

٩٣ / السبكي(تاج الدين بن السبكي) جمع الجوامع (بشرح الجلال المحلي) ، مصطفى الحلبي ١٣٤٩ ه ج ٢ ص ٤٢، ٤٣.

٩٤ / إرشاد الفحول الشوكاني ص ١٦٨.

٩٥ / البيضاوي(جمال الدين الإنسوي الشافعي) نهاية السول شرح منهاج الأصول
ج ٢ ، دار عالم الكتب بدون تاريخ الطبعة و النشر، ص٥١٣.
٩٦ / سورة المائدة : ٣آية
٩٧ / السبكي(تاج الدين بن السبكي) جمع الجوامع (بشرح الجلال المحلي) ، مصطفى الحلبي ١٣٤٩ هـ. ج ١ ، ص ١٢٥
٩٨ / هو : علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي الحنبلي، المقرئ الفقيه الأصولي الواعظ المتكلم، أحد الأئمة الأعلام، له مؤلفات كثيرة تدل على سعة علمه وفضله، منها: "الواضح" في أصول الفقه قال عنه الشيخ ابن بدران: "أبان فيه عن علم كالبحر الزاخر، وفضل يفحم من في فضله يكابر، وهو أعظم كتاب في هذا الفن، حذا فيه حذو المجتهدين". توفي ابن عقيل سنة ٥١٣هـ. "ذيل طبقات الحنابلة ١/ ١٤٢-١٦٦، المنهج الأحمد ٢/ ٢١٥-٢٣٢".
٩٩ / سورة المرسلات الآية : ٣٥.
١٠٠ / سورة يس من الآية : ٥٢.
١٠١ / ابن قدامة المقدسي : روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، ج١ ، مؤسسة الريّان للطباعة والنشر والتوزيع ، ط٢ ، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢م ، ص ٢٣٦
١٠٢ / سليمان بن صالح الخراشي : نقض أصول العقلانيين ، ج٢ ، دار علوم السنة ص٢٥
١٠٣ / اخرجه النسائي في السنن الكبرى ، باب سورة الفتح ، ج٦ ، ص٤٦٤ ، ح ، ١١٥٠٨عن جابر عن رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة انظر :
أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي : سنن النسائي الكبرى ، تحقيق : د.عبد الغفار سليمان البنداري ، سيد كسروي حسن ، دار الكتب العلمية ، ط١ ، بيروت ، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
١٠٤ / سورة مريم : آية ٧١
١٠٥ / سورة مريم : آية ٧٢
١٠٦ / روضة الناظر وجنة المناظر ، (١ / ٢٣٦) نقلاً عن كتاب التوحيد لابن خزيمة [٢\ ٨٧٨] تحقيق عبد العزيز بن شهوان. طبعة مكتبة الرشد بالرياض، عام ١٤١٤ هـ .
١٠٧ / الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد : مجلة البحوث الإسلامية ، ج٦٩ ، ص ١٦
١٠٨ / الكلمات النيرات في شرح الورقات الشيخ مشهور حسن، ج٦ ، ص ٨
١٠٩ / محمود عبد الرازق الرضواني : أسماء الله الحسنى في الكتاب والسنة ، ج٣٥ ، ط١ ، ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م ، ص١٥